يقظة

يا سورةً في دمائي ، كنتُ أجهلها
أحسُّ فيكِ دبيبَ الحبِّ يتّئِدُ
أحسُّ دلقَ الضيا في شاطيءٍ أبدٍ ،
كقِدَّةٍ من حيـــاة فيكِ تتّقدُ
أحسُّ أنباضـــه ، أنفاسه ، فمـــه
حتى توهمت أني والضيا أحـــدُ
أحسُّ ذاتيَ في الاغصانِ مورقةً
في الدُّجنِ شاتيةً ، في النهرِ تطّرد
أحسُّها موجـةً في البحر كافرةً ،
وقطرةً في جفون الفجر ترتعـــدُ
وضحكةً في مدار الأفق صالية ،
لكل حاشيـــةٍ من ضلعها قِصَدُ
كأنَّ هذا الوجود الرحب خابيةٌ ،
والذات خمرتها والماء والزبـــدُ .

★

كوّرتُ من اجلك الاكوان في خلدي ،
يا شعلةً في دمـــائي ليس تبترِدُ
لما تجلّت لي الأكوان في حللٍ ،
تجدُّ ألوانهـــا أصباغك الجـــدُدُ
ألقاك في الجذع دمع الجذع ، نضرته ،
وفي الأزاهر ، أنت العفو والسهـدُ
تقص عنك الروابي ، كل خافية ،
وينثر اسمك هدب الغيمـــة التئدُ
وامس شمتكِ في الأوداء عـارية ،
يلهو بصدرك ذاك الجـــدول الولد
وهفُّ دفئك يزقو في الحقول وفي
بال المواسم يجري حبـــك الغرد

★

مـــا فتق البرعم الغـــافي ونوّره
إلا انامل كفيك التي حمـــدوا
وأفرغ الضوء في الأجرام مغتلمـــاً
الا شرارة عينيـــك التي عبـــدوا
ما فجّر الماء في الأعمـــاق محتشداً
الا انابيب نهديـــك التي وردوا
ورنّح الأرض في حمّى تمزقهـــا
الا جذى منك لم يخمد لها وَقَـــدُ

هنري صعب الخوري

اليها محبي القصص من العامة ، لصعوبة لغتها واسلوبها ، فمالوا عنها الى القصص الشعبي . اما الخاصة فأنكروها لخيالهـــا ، ولقصصها المختلق المزعوم . ولكنهم أقبلوا عليها درساً وحفظاً لأنها متن شامل من متون اللغة . وبالرغم من ان عـــدداً من الكتّاب — كالزمخشري وابن الجوزي والسيوطي وناصيف اليازجي — حاولوا محاكاة هذه المقامات ، فان واحداً منهم لم يبلغ شأو بديع الزمان او الحريري ، ولم يتحرر كاتب منهم من قيود الأسلوب وطريقة العرض فظلت المقامة فناً متبلوراً لا تطوّر فيه ولا تكيّف .

هذا هو الفن القصصي الوحيد الذي ظهر في الأدب العربي ، قبل العصر الحديث . وهو فن متميز له منشئون معروفون . اما ما وصلنا من قصص أخرى كرسالة الغفران فعلى ما بها من جمال العرض القصصي والخيال والسخرية اللاذعة فريدة في بابها لم يكتب لنا غيرها ابو العلاء او غيره . نعم ان كتاب حي بن يقظان قصة خيالية طريفة يذهب بعض المؤرخين الى انها أوحت الى دانيال ديفو بقصة روبنسون كروزو . ولكن ابن طفيل لم يكتبها على انها قصة ادبية بل على انها رسالة فلسفية .

جامعة مانشستر — **عبد العزيز عبد المجيد**